

## تفسير البحر المحيط

@ 401 تعالى : { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } . ومقام يحتمل المصدر والمكان .  
فقال الفراء : مقامي مصدر أضيف إلى الفاعل أي : قيامي عليه بالحفظ لأعماله ، ومراقبتي  
إياه لقوله : { أَفَمَنْ هُوَ قَاتِلُهُمْ عَلَيْهِمْ \* زَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ } . وقال الزجاج  
: مكان وقوفه بين يدي للحساب ، وهو موقف □ الذي يقف فيه عباده يوم القيامة كقوله  
تعالى : { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ تَجْرُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } وعلى إقحام المقام أي لمن خافني  
 . والظاهر أن الضمير في واستفتحوا عائد على الأنبياء : أي استنصروا □ على أعدائهم  
كقوله : { إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ } ويجوز أن يكون الفتحة وهي  
الحكومة ، أي : استحكموا □ طلبوا منه القضاء بينهم . واستنصار الرسل في القرآن كثير  
كقول نوح : { فَافْتَحْ بِيْذِي وَبِذِيذِهِمْ فَتَّحَاً } وقرآن لوط : { رَبِّ  
نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ } وقول شعيب : { رَبِّ إِنَّا نَعْتَجُّ بِذِيذِنَا  
وَبِذِينَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } وقول موسى : { رَبِّ إِنَّا نَعْتَجُّ بِذِيذِنَا }  
الآية . وقول ابن زيد : الضمير عائد على الكفار أي : واستفتح الكفار على نحو ما قالت  
قريش : { عَجَّلْ لَنَا قِطًّا } وقول أبي جهل : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا  
يعرف فاحنه الغداة . وكأنهم لما قوي تكذيبهم وأذاهم ولم يعاجلوا بالعقوبة ، ظنوا أن ما  
جاؤوا به باطل فاستفتحوا على سبيل التهكم والاستهزاء كقول قوم نوح : { فَأْتِنَا بِمَا  
تَعِدُّنَا } وقوم شعيب : { فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا } وعاد : { وَمَا نَحْنُ  
بِمُعَذَّبِينَ } وبعض قريش : { فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً } . وقيل : الضمير  
عائد على الفريقين : الأنبياء ، ومكذبيهم ، لأنهم كانوا كلهم سألوا أن ينصر المحق ويبطل  
المبطل . ويقوي عود الضمير على الرسل خاصة قراءة ابن عباس ، ومجاهد ، وابن محيصن :  
واستفتحوا بكسر التاء ، أمراً للرسول معطوفاً على ليهلكن أي : أوحى إليهم ربهم وقال لهم  
: ليهلكن ، وقال لهم : استفتحوا أي : اطلبوا النصر وسلوه من ربكم . وقال الزمخشري :  
ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا ، والفتح المطر في سني القحط التي  
أرسلت عليهم بدعوة الرسول فلم يسقوا ، فذكر سبحانه ذلك ، وأنه خير رجاء كل جبار عنيد  
 ، وأنه يسقى في جهنم بدل سقيه ماء آخر وهو صديد أهل النار . واستفتحوا على هذا  
التفسير كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم انتهى . وخاب معطوف على محذوف تقديره :  
فنصروا وظفروا . وخاب كل جبار عنيد وهم قوم الرسل ، وتقدم شرح جبار . والعنيد :  
المعانند كالخليط بمعنى المخالط على قول من جعل الضمير عائداً على الكفار ، كأن وخاب

عطفاً على واستفتحوا . ومن ورائه قال أبو عبيدة وابن الأنباري أي : من بعده . وقال الشاعر : % ( حلفت فلم أترك لنفسك ريبة % . وليس وراء إلا للمرء مهرب . ) % .

وقال أبو عبيدة أيضاً ، وقطرب ، والطبري ، وجماعة : ومن ورائه أي ومن أمامه ، وهو معنى قول الزمخشري : من بين يديه . وأنشد : % ( عسى الكرب الذي أمسيت فيه % . يكون وراء فرج قريب . ) %